التصوف رسالة إصلاح ونهضة
دراسة في المنهج والمصادر

إعداد:

د. محمد حسن معاذ حسن

دكتوراة في العلوم الإسلامية من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة المنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

يتناول البحث أحد الموضوعات المهمة في الفكر الإسلامي الصوفي؛ فهو دراسة عن منهج التصوف وأثره في الإصلاح والنهضة، تحاول استجلاء منهجه ومصادره ودروه الحضاري، وجعلت عنوان هذا البحث: «**التصوف رسالة إصلاح ونهضة- دراسة في المنهج والمصادر**»، وهدفت منه بيان المنهج الصوفي في الإصلاح من عدة جوانب، ودوره في النهضة الحضارية العلمية والمجتمعية والعمرانية، ومصادره في الأخلاق.

وقد تناولته في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة عليه، ومنهجه، وخطته، والتمهيد: عرفت فيه بالألفاظ (التصوف، والإصلاح، والنهضة، والمنهج، والمصادر)، وفي المبحث الأول تناولت: المنهج الصوفي في الإصلاح؛ وبخاصة في الدعوة إلى الإسلام، ، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وقبول الآخر والحوار معه، وفي المبحث الثاني: دور التصوف في النهضة الحضارية العلمية والمجتمعية والسياسية والعمرانية، وفي المبحث الثالث: مصادر الأخلاق عند الصوفية وأثرها في الإصلاح والنهضة.

وفي الخاتمة عرضت لما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وذكرت من هذه النتائج: أن التصوف ليس مجرد ادعاء القرب وسلوك الطريقة فحسب، ولكن له دور كبير في إصلاح الأفراد والمجتمعات ونهضتهم الحضارية، وأن المنهج الصوفي في إصلاح الفرد والمجتمع قائم على الجمع بين الشريعة والحقيقة والطريقة.

الكلمات المفتاحية: التصوف- النهضة- الإصلاح- المنهج- المصادر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الغفور، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد نور النور، الذي يَفتح به الصدور، وجميع الأمور، مَن هو زين الكون والحب الرباني المكنون، بعدد كل ما قال له الله كن فيكون، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم النشور، وبعدُ:

فلمَّا كان التصوف من الأمور التي حثَّت عليها الشريعة الإسلامية، ورغَّبت الناسَ في الإقبال عليها؛ وذلك عن طريق الزهد في الدنيا وملذاتها ومغرياتها، والإقبال على طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته، فقد التزمه كثير من العلماء والعوام.

هذا، ولم يقف الأمر بالعلماء عند التزام طريق التصوف والعيش في اللذة الروحية التي تنتشي بها النفس جراء تدريبها على عبادات وطاعات وطقوس تهدف إلى تهذيبها وترويضها؛ من خلوة وتقشف وزهد وبُعد عن غرور الحياة الدنيا، وترك حياة الآخرين والإقبال على رب العالمين، بل كانوا أكثر مسيسًا بالناس انخرطوا بينهم وعايشوا همومهم وأفراحهم وآلمهم وأحزانهم، فأصبحوا طائفة منتشرة في المجتمعات الإنسانية لها أثرها فيمن حولها، فأسهموا إسهامًا كبيرًا في بناء الأمم والشعوب، وبذلوا ما وسعهم في المحافظة على الأوطان وأمنها واستقرارها، وشاركوا في نهضة الأمة وإصلاحها على المستويين الفردي والجماعي، فظهر جهدهم ولُمِست نهضتهم، وشوهد أثرهم في الحضارة الإسلامية التي صدَّرت لأمم العالم مبادئ الحضارات ومقوماتها، فأقاموا حضاراتهم عليها.

وفي هذا البحث الذي بين أيدينا سوف أتطرق إلى إبراز صورة التصوف الحقَّة التي شوهها كثيرٌ ممن لم يطلع على كنهه، ولم يخبر أصل نهجه، ولا شارف شيئًا من فضله، مبيِّنًا رسالة التصوف في الإصلاح والمشاركة في النهضة الحضارية للأمة الإسلامية، وذلك من خلال استجلاء منهجه في الإصلاح، ودوره الحضاري الذي أسهم به في ركب الحضارة الإسلامية، والمصادر التي أسس عليها منظومة أخلاقه التي كان لها أثرها في إصلاح الأفراد والجماعات، ونهضة الأمم والشعوب، وجعلت عنوان هذا البحث: «**التصوف رسالة إصلاح ونهضة- دراسة في المنهج**

والمصادر».

فالله أسأل الفلاح والقبول، والسداد في تحقيق أهدافه واستخلاص نتائجه، إنه وليي ونعم الوكيل.

أولا: أسباب اختيار البحث وأهميته:

دعت إلى كتابة هذا البحث عدة أسباب، يترتب عليها بيان أهمية الموضوع، وهذه الأسباب تتمثل في الآتي:

١- أهمية التصوف في بناء الشخصية الإنسانية والمجتمعية، ودوره في الإصلاح ونهضة الأمم والشعوب.

٢- الأثر الكبير للصوفية وتصوفهم في بيان العلاقة بين العبد وربه ظاهرًا وباطنًا، وعلاقته بينه وبين الناس من حوله.

٣- أن الصوفية لم يكن همُّهم الأوحد تهذيب نفوسهم دون مَن حولهم، بل كانوا قادة وأئمة نحو تقدم الشعوب والاضطلاع بهمومهم ومشكلاتهم.

٤- أن المنهج الصوفي منهج ذا مرجعية شرعية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية، لا كما يشاع عنه أنه منهج قائم على الشطح والغلو في الأفكار والمعتقدات.

٥- التعرف على تاريخ وأعلام بعض الصوفية عبر تاريخ العصور المختلفة، وأثرهم في حياة الناس العامة، والاطلاع علي شيء من أقوالهم وأفكارهم.

ثانيا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى السعي لتحقيق أهداف رئيسة، تتمثل في الآتي:

١- معرفة معاني التصوف، والإصلاح، والنهضة، والمنهج، والمصادر.

٢- بيان المنهج الصوفي في الإصلاح، وبخاصة في الدعوة إلى الإسلام، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وقبول الآخر والحوار معه.

٣- بيان دور التصوف في النهضة الحضارية العلمية، والمجتمعية والسياسية، والعمرانية.

٤- بيان مصادر الأخلاق عند الصوفية وأثرها في الإصلاح والنهضة؛ باعتبار أن الأخلاق هي الأساس الذي يقوم عليه التصوف وسلوك الطريق، وأن النهضة والإصلاح لا تقوم إلا بالتزام الأخلاق والتمثُّل بها في الحركات والسكنات.

ثالثا: الدراسات السابقة:

لم أقف- فيما أتيح لي من وسائل البحث المختلفة- على دراسة تناولت الكلام بالتفصيل والشواهد على المنهج الصوفي في الإصلاح، ودوره في النهضة الحضارية، ومصادر الأخلاق التي لها الأثر في النهضة، إلا أنه لم تخلو الدراسات من الإشارات إلى بعض من هذه الأمور، ومن أوسع هذه الدراسات: «التصوف الإسلامي- حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري»، للأستاذ الدكتور عزمي طه السيد أحمد، طبع بالمؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

وهذه الدراسة اكتفت بالكلام على حقيقة التصوف وشيء من تاريخه ودوره الحضاري باختصار وإجمال، كما أنه لم يتكلم عن المنهج الصوفي ودوره في الإصلاح، ولا عن مصادر الأخلاق التي لها أثر في النهضة الحضارية، بينما هذا البحث الذي بين أيدينا فإنه يتناول بصورة أوسع وأعمق وأكثر تفصيلًا الكلام على المنهج الصوفي في الإصلاح وبخاصة في الدعوة إلى الإسلام، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وقبول الآخر والحوار معه، كما يتناول الدور الحضاري للتصوف في نهضة الأمم والشعوب، مع بيان مصادر الأخلاق في التصوف التي لها أثر في النهضة الحضارية، بجانب ذكر كثير من مواقف أئمة الصوفية وكلامهم؛ تدليلًا وتعضيدًا لما سأذكره في ثنايا البحث، ليكون بذلك متفردًا بموضوعه ومادته المجموعة.

رابعًا: منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن أسلك المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال قراءة نصوص أئمة الصوفية من المتقدمين والمتأخرين، وتحليلها تحليلًا دقيقًا؛ لأجل بيان منهجهم في الإصلاح، ودورهم في النهضة الحضارية، ومصادر الأخلاق التي أثرت بصورة مباشرة في النهضة الحضارية.

خامسًا: خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، ومشكلته، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: التعريف بألفاظ (التصوف، والإصلاح، والنهضة، والمنهج، والمصادر).

المبحث الأول: المنهج الصوفي في الإصلاح، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنهج الصوفي في الدعوة إلى الإسلام.

المطلب الثاني: المنهج الصوفي في ترسيخ العقيدة الصحيحة.

المطلب الثالث: المنهج الصوفي في إصلاح الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: المنهج الصوفي في قبول الآخر والحوار معه.

المبحث الثاني: دور التصوف في النهضة الحضارية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور التصوف في النهضة العلمية.

المطلب الثاني: دور التصوف في النهضة المجتمعية والسياسية.

المطلب الثالث: دور التصوف في النهضة العمرانية.

المبحث الثالث: مصادر الأخلاق عند الصوفية وأثرها في الإصلاح والنهضة، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم باعتباره مصدرًا للأخلاق.

المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم وسنته باعتباره مصدر الأخلاق العملي عند الصوفية.

المطلب الثالث: الشيخ المربي ومرافقته مصدر التخلق عند الصوفية.

المطلب الرابع: الإلهام مصدر الأخلاق عند الصوفية.

الخاتمة: أذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات من خلال البحث.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

التمهيد

التعريف بألفاظ (التصوف، والإصلاح، والنهضة، والمنهج، والمصادر)

اشتمل عنوان البحث على عدة ألفاظ هي: التصوف، والإصلاح، والنهضة، والمنهج، والمصادر، ولأن استجلاء ماهية الألفاظ يسهم في إعطاء تصور عام للموضوع محل البحث، لذا لا بد قبل أن أتطرق للكلام على مواضيع البحث الرئيسية من التعريف بهذه الألفاظ، على النحو الآتي:

أولًا: تعريف التصوف:

التصوف لغةً: مصدر من الفعل الرباعي المضعف صوَّف، وأصله من الفعل الثلاثي صوف، والذي يرجع في اللغة إلى أصل واحد صحيح وهو الصوف المعروف، والباب كله يرجع إليه[١].

وتصوَّفَ في اللغة يراد بها: تنسَّك أو ادعاه[٢]، ويقال: تصوَّف الرجل وهو صوفي، أي: من قومٍ صوفيَّةٍ، وهي كلمة مولدة مأخوذة من الصوف[٣].

التصوف اصطلاحًا: تعدَّدت ألفاظ العلماء في التعريف الاصطلاحي للتصوف، الأمر الذي حدا بأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ) للقول بأن الناس تكلموا في التصوف «ما معناه؟ وفي الصوفي: من هو؟ وكل عبر بما وقع له، واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز»[٤]، وقد عدَّد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) تعريفات التصوف بقوله: «مذهب كله جد. فلا يخلطونه بشيء من الهزل.

وقيل: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة، وقيل: ترك

---

(١) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ٣٢٢ (ص و ف).

(٢) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٢٤/ ٤٢ (ص و ف).

(٣) ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ١/ ٣٥٢ (ص و ف).

(٤) القشيري، الرسالة القشيرية، ٢/ ٤٤٠.

الاختيار، وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود. وقيل: حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك. وقيل: الإعراض عن الاعتراض. وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا. وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي. وقيل: خدمة التشرف، وترك التكلف، واستعمال التظرف. وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق»[١].

وعرفَّه ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) بقوله: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف»[٢].

ثانيًا: تعريف الإصلاح:

الإصلاح مصدر من الفعل الثلاثي صلح، والذي يرجع في اللغة إلى أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحًا[٣].

ثالثًا: تعريف النهضة:

النهضة لغةً: اسم من الفعل الثلاثي الصحيح نهض، وهو أصل يدل على حركة في علو، ونهض من مكانه أي: قام، ويقال: ما له ناهضة، أي: قوم ينهضون في أمره ويقومون به، ويقولون: ناهضة الرجل، أي: بنو أبيه الذين يغضبون له، ويقال: نهض النبت أي: استوى، والنهضة: الطاقة والقوة، وتأتي بمعنى العتبة من الأرض تبهَر فيها الدابة[٤].

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦١١.

(٣) ينظر مادة (ص ل ح) عند: الجوهري، الصحاح، ١/ ٣٨٣، وابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ٣٠٣.

(٤) ينظر مادة (ن هـ ض) عند: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٣٦٣، والزبيدي، تاج العروس، ١٩/ ١٠٣.

والنهضة اصطلاحًا في اللغة المعاصرة: وثبة في سبيل التقدم الاجتماعي والفكري وغيرهما[١].

رابعًا: تعريف المنهج:

المنهج لغةً: اسم من الفعل الثلاثي الصحيح نهج، ويرجع في اللغة إلى أصلين متباينين؛ الأول: النهج الطريق، ونهج لي الأمر أي: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والآخر: الانقطاع، يقال: أتانا قلان ينهج إذا أتى مبهورا منقطع النفس[٢].

والمنهج اصطلاحًا: الطريق المسلوكة[٣].

خامسًا: تعريف المصادر:

المصادر لغة: جمع مصدر، وهو اسم من الفعل الثلاثي صدر، والذي يرجع في اللغة إلى أصلين صحيحين: أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره[٤].

(١) ينظر: مختار، اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ٢٢٩٤ (ن هـ ض).
(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٣٦١ (ن هـ ج).
(٣) ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٣١٧.
(٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ٣٣٧ (ص د ر).

المبحث الأول

المنهج الصوفي في الإصلاح والنهضة

التصوف طريقة وسلوك من شأنه أن يضبط تصرفات الأفراد والأمم، ويهذب النفوس والأرواح، ويربي الجوارح والأبدان، لذا له دور كبير في إصلاح الأمم والمجتمعات على اختلافها، كما أنه يسهم بصورة واضحة في بناء حضارة الأمم، ويكون سببًا من أسباب نهضتها ورُقيِّها.

وفي هذا المبحث أبيّن المنهج الصوفي وأثره في الإصلاح والنهضة من نواحٍ عدة، كمنهجه في الدعوة إلى الإسلام، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وقبول الآخر والحوار معه.

المطلب الأول: المنهج الصوفي في الدعوة إلى الإسلام:

الدعوة إلى الإسلام كانت ديدن كثير من أئمة الصوفية ومشايخهم، وكانت عندهم تتخذ صفة الفردية في أغلب عصورها المختلفة؛ فكان أئمة التصوف هم من يقومون بالدعوة إلى الإسلام دون انخراط بهيئة أو مؤسسة أو جماعة أو طائفة، وكانت الدعوة عندهم تقوم على أمرين رئيسين:

الأمر الأول: القدوة والاختلاط والأخلاق الإسلامية والتسامح والرفق في المعاملة، والمثل الطيبة الواضحة في المعاملة الحسنة، عند أئمة التصوف كالشاذلي وابن عطاء السكندري وغيرهما.

الأمر الثاني: مجالس الوعظ التي كان يعقدها الأئمة من الأقطاب، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون وغيرهم، فيتبعون الشيخ في مواعظه، ثم يعلو الأتباع حتى يتبعوه في عقيدة الوحدانية، وكان منهم من له ثقافة إسلامية واسعة، وعلم بأصول الإسلام وفروعه، كالشيخ عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ)[١].

ويؤكد على ذلك محيي الدين الألوائي (ت: ١٩٩٦م)؛ حيث ذكر أن الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية كانت قائمة على الجهود الفردية من الدعاة

(١) ينظر: أبو زهرة، الدعوة إلى الإسلام، ص ٧٧، ٧٨.

المخلصين من العلماء والوعاظ والصوفية «الذين اتخذوا من مجالسهم العلمية- إما في منازلهم أو في التكايا أو في المساجد- مراكز لبيان محاسن الإسلام وإبرازها ناصعة واضحة أمام الناس كما كانوا يقومون برحلات وجولات في سبيل نشر دعوة الحق بطريق الموعظة والإرشاد»[١].

بناء على ما ذُكِر هنا يتضح أن من أهم معالم منهج الدعوة إلى الإسلام عند الصوفية هو التزام الحكمة والموعظة الحسنة بالنصح والإرشاد، وذلك مرجعه عندهم القرآن الكريم؛ حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢]، وقد كان لهذا المنهج الصوفي أثره في الدعوة والترغيب في الإسلام، ويدل على ذلك ما ذكره سير توماس أرنولد- المستشرق البريطاني (ت: ١٩٣٠م)- عند حديثه عن انتشار الإسلام في غرب إفريقية، وتعرضه لدور الطريقة القادرية في نشر الإسلام هناك في مستهل القرن التاسع عشر؛ حيث النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيرًا عميقًا، الأمر الذي دفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي إلى حياة ونشاط جديدين، ولم يمض زمن طويل حتى وُجِد فقهاء مثقفون وجماعات صغيرة من المريدين انتشروا في أرجاء السودان الغربي من السنغال إلى مصب النيجر، وكانت المراكز الرئيسية لتنظيم دعوتهم في كنكا وتمبو بجبال فوتاجالون ومسردو الواقعة في بلاد الماندنجو تقوم بهذه الدعوة، وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الإسلامي وسط شعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم كتَّابًا وفقهاء وكتاب تمائم ومعلمين، وتسلطت القادرية على من كان يحيط بها شيئًا فشيئًا، وسرعان ما تطور الدخول في الإسلام من حالات فردية إلى جماعة صغيرة من هؤلاء الذين أسلموا[٣].

---

(١) محيي الدين الألوائي، الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية، مجلة الأزهر، المجلد ٥٤، الجزء الثامن، السنة التاسعة والأربعون، عدد ذو القعدة سنة ١٣٩٧هـ- نوفمبر سنة ١٩٧٧م، ص ١٦٩٧، ١٦٩٨.

(٢) سورة النحل، من الآية رقم ١٢٥.

(٣) ينظر: سير توماس وأرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦٥.

ثم يسترسل في كلامه ليقرر نتيجة دعوة القادرية في هذه البلدان المذكورة؛ حيث تسربت نواة الإسلام إلى عبدة الأوثان والأصنام، وانتشرت العقيدة تدريجيا انتشارًا عظيمًا بصفة مستمرة، وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس في السودان ويشرفون عليها، وكان هؤلاء المعلمون قد تربوا في كنف القادرية ونظامهم الذي أقاموه على طريقة منظمة مستمرة في دعوة القبائل الوثنية، وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة ذا طابع سلمي للغاية، يعتمد كل الاعتماد على الإرشاد وعلى أن يكون الواحد منهم قدوة لغيره، كما كان يعتمد على مبلغ تأثير المعلم منهم في تلاميذه، كما يعتمد على انتشار التعليم، وبهذه الخطة برهَن دعاة القادرية في السودان على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة- وهو عبد القادر الجيلاني (ت: ٥٦١هـ)- ولتقاليدها العامة؛ ذلك لأن أهم المبادئ التي كانت تسيطر على حياة عبد القادر هي حب الجار والتسامح، ولا نجد في كتبه ولا في مواعظه ما يدل على سوء نية أو عداوة نحو المسيحيين، وكان كلما تكلم عن أهل الكتاب لم يزد على أن يعبر عن أسفه على ما هم فيه من باطل، ويدعو الله أن ينير لهم السبيل، وقد أوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح الذي كان صفة بارزة في أتباعه في جميع العصور[١].

من هذه النماذج المذكورة وما تناثر في بطون المصادر- مما يضيق بنا المقام لسرده والاستطراد فيه- يتضح أثر المنهج الصوفي في الدعوة إلى الإسلام، لذا تجد الإمام عبد السلام الأسمر يؤكد على ذلك بقوله: «والسادة الصوفية هم الذين حفظ الله تعالى بهم دينه ونشره في البقاع وصان بهم الإسلام وأهل الإسلام من كيد اللئام في الداخل والخارج»[٢].

المطلب الثاني: المنهج الصوفي في ترسيخ العقيدة الصحيحة:

الصوفية أحد طوائف أهل السنة والجماعة؛ الذين اتفقوا على معتقد واحد فيما

---

(١) ينظر: سير توماس وأرنولد، الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦٦. وينظر أيضًا عن دور القادرية والتيجانية في نشر الإسلام والدعوة عند: محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ٢٢١.

(٢) القطعاني، القطب الأنور ص ٩.

يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة إلى ذلك، ومبادئهم هي مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية[١].

وقد اعتنى الصوفية وأئمتهم في كافة العصور والأزمان بإبراز جوانب العقيدة ومباحثها وفقًا لأهل السنة والجماعة؛ فهذا الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله (ت: ٤٦٥هـ) نظم قصيدة من (٣٩) بيتًا؛ لخص فيها عقيدة الأشاعرة؛ لكي يثبت أن عقائد الصوفية في أصولها لا تخرج عن هذه التعاليم، ولكي يرد على من اتهم الصوفية بالزندقة والخروج عن أصول الشريعة، ومما قاله في آخرها:

وخالف كل مبتدع تصدى *** لتشبيه وتعطيل وقالا

وجانب كل منتحل ضلالا *** ومن يختار رفضًا واعتزالا

وقل أنا مؤمن وبفضل ربي *** أرى منه التجاوز والنوالا[٢]

وقد أكَّد أبو القاسم القشيري رحمه الله (ت: ٤٦٥هـ) على منهج الطريق الصوفي في «رسالته» من حيث العقيدة وأصول الدين، وذلك من خلال بيان اعتقاد مشايخه من المتصوفة الذين اقتدى بهم في فصل صدَّر به «رسالته»، فنجده يقول: «اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد؛ صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة؛ من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم... وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد»[٣].

وبناء على ذلك لم يكن «رجال التصوف من دعاة السلبية والنكوص، ولكنهم كانوا دائما حراس العقيدة الأمناء الذين يتوارون برفعه ويستترون بسموه حتي لا تمس العقيدة ويراد الإسلام بسوء، سواء كان في عقيدته أم في علومه أم في وجوده»[٤].

ومن معالم المنهج الصوفي في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس

---

(١) ابن قاسم البكي الكومي، تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب ص ٤٠، ٤١.

(٢) أبو القاسم القشيري، أربع رسائل في التصوف (القصيدة الصوفية) ص ٣٥، ٧٣.

(٣) أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ١/ ١٩، ٢٠.

(٤) القطعاني، القطب الأنور ص ٢٤.

الفرد والجماعة؛ بيان أن للإيمان علامات وأعلام يلتزمها الإنسان، ويتضح ذلك في قول ذي النون المصري (ت: ٢٤٥هـ): «ثلاثة من أعلام الإسلام: النظر لأهل الملة، وكف الأذى عنهم، والعفو عند القدرة لمسيئهم، وثلاثة من أعلام الإيمان: إسباغ الطهارات في المكاره، وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها، والتوبة عند كل ذنب خوفا من الإصرار»[١].

واتبع الصوفية في تعليم العقيدة الإسلامية وترسيخها في نفوس المسلمين منهجًا يتسم بالتدرج في اكتساب مسائلها وتعلمها، فنجد واحدًا من أئمة الشريعة والحقيقة كالإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) يذكر في كتابه القيم «إحياء علوم الدين» يفرد كتابًا بأكمله بعنوان «كتاب قواعد العقائد»، وشمله على فصل بعنوان «في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام»[٢]؛ ذكر فيه العقائد الإسلامية على سبيل الإجمال، ثم منه انتقل إلى فصل آخر بعنوان «في وجه التدرج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد» بيَّن فيه كيفية التدرج في طلب العقيدة وتعلمها ودرجاتها، لذا نجده صدَّر هذا الفصل بقوله: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نُشُوِّه؛ ليحفظه حفظًا، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل»[٣].

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء ٩/ ٣٩٣.
(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ٨٩.
(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ٩٤.

وهذا الشعراني (ت: ٩٧٣هـ) يبين الشروط التي تجب في المرء الذي يتصدى للجواب عن آيات الصفات ودحض الملحدين؛ وذلك من شأنه ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس العامة والخاصة، فنجده يقول: «اعلم يا أخي أن من جملة شروط من يتصدر للرد على الملحدين في آيات الصفات أن يكون متبحرا في جميع علوم الشريعة المطهرة من تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو وبيان ومعان ولغة، عالمًا بالخلاف العالي والنازل، وبما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، وما عليه من خالفهم، مطهرا من جميع الذنوب الظاهرة والباطنة بحيث لا يكون في سريرته شيء يكرهه الله عز وجل، وذلك ليصح له الجواب عن جناب صفات الحق عز وجل، ويدخل حضرة الله عز وجل، ويعرف آداب أهلها مع الله تعالى وصفاته، فلا يضيف إلى جناب الحق جل وعلا شيئا لا يضيفه إليه أهل الحضرة من الأنبياء والأولياء والملائكة، فعلم أن من كان في قلبه شيء يكرهه الله تعالى، أو لم يتبحر في علوم الشريعة واللغة، أو كان يجهل شيئا من مجازات العرب واستعاراتها، فلا يصح له مقام العلماء بالله، ولا مقام الجواب عن أهل حضرته لعدم دخوله لها»[(١)].

ومن منهج الصوفية في ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين بيان منهج العقائد الإسلامية التي على المسلم أن يؤمن بها ويلتزمها، وهذا المنهج بيَّنه الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم (ت: ١٩٩٨م) في قوله: «يكاد يتلخص منهج العقائد الإسلامية إجمالًا في العلم بما يأتي التعريف به:

أ- الدين: هو ما يتدين به المرء؛ أي: ما يتعبد به ويعتقده عقليًّا وقلبيًّا، ويمارسه سلوكيًّا، حتى يلقى الله عليه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [(٢)]...

ب- الإسلام: هو انقياد ظاهر المرء لما جاء به رسول الله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقواعد الإسلام خمس: (النطق بالشهادتين، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج بيت الله الحرام عند الاستطاعة).

(١) الشعراني، القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية ص ٦٤.

(٢) سورة آل عمران، من الآية رقم ١٩.

ج- الإيمان: هو التصديق القلبي الثابت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره...

د- الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فهو ثمرة الإيمان وأكسيره وعصارته.

هـ- الإيقان: وهو مقام الفناء في الحق، فهو ثمرة المقامات السابقة كلها، وفيه يكون الكشف والشهود والمعية، ﴿ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (١).

ثم إن الإسلام مقام الهداية والسلوك، والإيمان مقام الجهاد والعبادة، والإحسان مقام المراقبة والعبودية، والإيقان مقام المعية والكشف والوصول»(٢).

مما سبق يتضح أن المنهج الصوفي يسهم بصورة واضحة في ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، تلك العقيدة التي جاءت على منهج أهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: المنهج الصوفي في إصلاح الفرد والمجتمع:

إن الصوفية طريق وسلوك يدفع ملتزمه إلى تهذيب نفسه وروحه في الأساس، فليس هو كصورته الشعبية التي في أذهان العوام من الغناء والرقص والمواكب الصاخبة والممارسات غير المنضبطة بالشريعة، بل هو دعوة إلى إصلاح النفس وضبط السلوك الإنساني بما يتماشى وما جاء في الكتاب والسنة النبوية، وهذا المنهج هو ما عليه الصوفية الأوائل، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (ت: ٤١٢هـ) يرى أن الاعتصام بحبل الله يكون بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنه الحبل الأوثق(٣).

ويقول السري السقطي رحمه الله (ت: ٢٥٣هـ): «التصوف اسم لثلاث معان،

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٧٥.

(٢) محمد زكي إبراهيم، خلاصة العقائد في الإسلام ص ٧- ٩.

(٣) ينظر: السلمي، حقائق التفسير ١/ ١١٨.

وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله»[١].

ويؤكد منهج الصوفية على مرجعيته إلى الكتاب والسنة ما قاله أيضًا النصرأباذي رحمه الله (ت: ٣٦٧هـ)، حيث قال: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات»[٢].

ودعوة التصوف وملتزموه الأوائل والمتأخرون إلى الإصلاح لم تكن قاصرة على الفرد فحسب، بل جاءت موجهة إلى كل طوائف المسلمين وجماعتهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومجتمعاتهم؛ لذا تجد الإمام الرائد (ت: ١٩٩٨م) يقول: «الخير والشر عدوى وتقليد، فأصلح الفرد تصلح الأسرة، تصلح أخرى، تصلح الناحية، تصلح المجموعة، تصلح الأمة»[٣].

ويؤكِّد رحمه الله على ذلك بقوله: «التصوف الإسلامي في ذاته وأهدافه حركة إصلاحية اجتماعية وروحية شاملة يترتب عليها صلاح الفرد والجماعة والشعب والدولة من كل جوانبها؛ السياسية والاقتصادية والعمرانية وما يتعلق بها، فمتى استقام الباطن على الطريقة المثلى والعلاقة الكبرى بالله، كان أداة تنفيذ آلي لحكم الله وقوانين السماء لا يقوى بفطرته وحكم تربيته أن يزل عنها أو يترخص فيها، وبهذا تستقر الدولة وتتقدم ومن ورائها كل قوى السماء»[٤].

وهذا يحيى بن معاذ رحمه الله (ت: ٢٥٨هـ) أحد الصوفية الأوائل الذين دعوا إلى سلوك الطريق على علم وبصيرة بعيدًا عن الغلو في هذا السلوك، فتجده يقول: «اجتنبت صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين،

---

(١) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية ١/ ٤٥، ٤٦.

(٢) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية ١/ ١٤٥.

(٣) ينظر: محمد زكي إبراهيم، يا ولدي ص ١٧٥.

(٤) ينظر: محمد زكي إبراهيم، معارفة إجمالية عن التصوف درس أساسي هام يجب أن يستوعبه كل صوفي، مجلة المسلم، العدد ١٢، سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، ص ٦١٩، ٦٢٠.

والمتصوفة الجاهلين»[1].

إذن التصوف له دور كبير في بناء المجتمع؛ باعتباره يعتني بتربية الإنسان باطنيًّا بتهذيب روحه ونفسه التي بين ضلوعه، كما يعتني بتربيته ظاهريًّا بحثِّه على الرغبة عن الشهوات والبعد عن الهفوات وعدم الطمع فيما لا يملكه، وأن يكون في خدمة من حوله مما يعيش معه في المجتمع، فتجد الجنيد رحمه الله (ت: ٢٩٧هـ) يقول: «الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح»[2].

ومن منهج الصوفية في إصلاح الفرد والمجتمع دعوته إلى التزام الأخلاق والآداب، فهذا السهروردي رحمه الله (ت: ٦٣٢هـ) قد أفرد بابًا في كتابه «عوارف المعارف» مبينًا فيه أخلاق الصوفية فقال: «الباب التاسع والعشرون: في أخلاق الصوفية وشرح الخلق»[3].

واعتنى كذلك كثير من علماء الصوفية بذكر الجانب الأخلاقي في التصوف، حتى وصل الأمر بهم إلى إفراد المؤلفات في هذا الجانب، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ) يؤلف كتابًا بعنوان «آداب الصحبة»، وأخر بعنوان «جوامع آداب الصوفية وعيوب النفس ومداواتها».

ومن منهج الصوفية في إصلاح الفرد والمجتمع الدعوة إلى تحقيق عبودية العبد لربه سبحانه وتعالى، فالإمام الشعراني رحمه الله (ت: ٩٧٣هـ) يبيّن أن العبد ما خلق بالأصالة إلا ليكون لله عبدًا دائمًا[4].

وهذا ما نبه إليه الإمام السهروردي البغدادي رحمه الله (ت: ٦٣٢هـ) أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[5]، فقال: «أي: نطيع- الله تعالى- مع

---

(1) ينظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ١٠٢.
(2) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية ٢/ ٤٤٢.
(3) ينظر: السهروردي، عوارف المعارف ص ٢٤٨.
(4) الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، ص٢٩٠.
(5) سورة الفاتحة، الآية رقم ٥.

الخضوع، وسُمِّي العبد عبدًا لذلته لمولاه سبحانه وتعالى»[١].

وبيَّن أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (ت: ٤١٢هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٢]، أن المقصود من خلق الإنسان العبادة ثم عدَّد فوائد هذه الآية[٣].

ويشير الإمام القشيري (ت: ٤٦٥هـ) عند تفسيره للآية السابقة إلى أن الله تعالى لمَّا خلق عباده اصطفاهم وخصَّهم بعبادته تعالى، والإقبال عليه بحسن الإنابة والصدق والإخلاص، ووعدَهم جزيل أفضاله[٤].

ولم يكتف الصوفية في صلاح الأفراد الذي يبنى عليه صلاح المجتمعات بالناحية الظاهرية فحسب، بل حثوا على أن الإنسان عليه أن يصلح باطنه كما يصلح ظاهرة، فقد أشار الإمام الشعراني رحمه الله (ت: ٩٧٣هـ) إلى أن العبودية الحقَّة لله تعالى لا بد فيها من الذل والعجز والخضوع والافتقار إلى الحق تعالى وحده، وذلك يكون ظاهرًا وباطنًا؛ لأن الحق لم يجعل لعباده قدمًا في الربوبية[٥].

ويلزم من الخضوع والطاعة والانقياد في الطاعة لله تعالى وحده ظاهرًا وباطنًا، انعكاسه على سلوك الإنسان في علاقته بالخالق من جهة رئيسة، وبالخلق من ناحية أخرى، وهذا هو الدين الحق، وجوهر العبادة الحقيقية لله عز وجل هو ما يستقيم مع عقيدة دين الإسلام وعباداته، وأما إذا لم تكن العبادة على النحو الذي ذكرته، فإنها تصبح صورة لا معنى فيها ولا رُوح، وحينئذ تكون عبارة عن هيكل فارغ من مضمونها الحقيقي المراد تحقيقه[٦]؛ وذلك لأن هذه العبادات كلها تتكافل في إعداد النفوس وتطهيرها من علائقها وشهواتها لتحقق كمالها باستنارة القوى المعنوية أو الروحية

---

[١] السهروردي البغدادي: نغبة البيان في تفسير القرآن، ص ٢.

[٢] سورة الذاريات، الآية رقم ٥٦.

[٣] السلمي: حقائق التفسير، ٢/ ٢٧٨.

[٤] القشيري: لطائف الإشارات، ٣/ ٤٧٠.

[٥] الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، ص٢٨٠.

[٦] الجزار: دراسات في التصوف الإسلامي، ص٢٠.

الكامنة فيها[١].

وههنا يشير الإمام السهروردي رحمه الله (ت: ٦٣٢هـ) إلى أن الصوفي الصادق المتوجه إلى الله تعالى الذي أحكم أمور بدايته، وسافر بقلبه إلى مولاه وانتقش من فوائد النظر إلى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق معارف المقربين، فصار عبدًا مقربًا من الحق، وصار من أهل الله وخاصته بعد سبر أحوال النفس وانتزاعها من حضيض شهواتها وحظوظها[٢].

بل قد نبَّه الإمام أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (ت: ٤١٢هـ) إلى أن من عيوب النفس صلاحها في الظاهر وذلك زينة للناس؛ لأن صاحبها غفل عن صلاح الباطن الذي هو موضع نظر الحق تعالى، وهذه إشارة ضرورية إلى تطهير الظاهر إلى جنب الباطن[٣].

وقد بين الصوفية أن من آثار طهارة النفس ظاهرًا وباطنًا أن يكتسب الإنسان صلاح الأعمال الظاهرة والأحوال الباطنة؛ وتصفية النفس عن كل علائقها وشهواتها وطباعها وأخلاقها المذمومة، فيرتقي شأنه بالتقرب إلى الحق عز وجل أولًا ثم مع الخلق ثانيًا، وذلك بتبدل صفاته من خلق مذموم إلى خلق محمود كاللين والرفق والطمأنينة، فيصير يعامل بها خلق الله تعالى، وهذا الحال لا يصلح إلا لآحاد أفراد العباد ممن انسلخوا من إرادتهم واختيارهم فيكاشفهم الله تعالى، فيدخلون في الأشياء بمراد الله تعالى بعد تجردهم من صفات النفس المذمومة[٤].

ويلخص الإمام الرائد رحمه الله (ت: ١٩٩٨م) دور التصوف في بناء شخصية الفرد والمجتمع فيقول: «أدرك الصوفيون ذلك فنظموا أنفسهم كحركة إصلاحية للمحافظة على الوطن الإسلامي وخصائصه، فهي تبني الأساس وتهيئ الدعائم، وتخرج للمجتمع من دارسها رجالا صفاتهم التقوى، وعصمتهم الفضائل الإنسانية،

---

(١) محمد فريد وجدي: من معالم الإسلام، ص ١٧٧.
(٢) السهروردي البغدادي: عوارف المعارف، ص١٣٩.
(٣) السلمي: عيوب النفس ص ٢١، ٢٨.
(٤) ينظر: السهروردي: عوارف المعارف، ٢/٩١-٩٧

ودفعهم إلى الفداء وحب الله والدار الآخرة، فحيثما استعملتهم الدولة في شئونها أفاضوا على اختصاصاتهم فيها الخير والنور والبركة والهدى والدفع إلى الأمام»[١].

وعلى هذا يتبين أن المنهج الصوفي في إصلاح الفرد والمجتمع قائم على الجمع بين الشريعة المتمثلة في أداء العبادات المفروضة على العبد المسلم، وبين الحقيقة التي تُعنى في المقام الأول بالناحية الروحية ودواخل النفس البشرية، فيكون الصلاح أشمل وأعم، خاليًا من أدران الحقد والضغائن الخفية ومن سوء الأخلاق وعدم الانقياد للمولى عز وجل، وهذا لا شك في أنه أقوم لحياة الناس أجمعين.

المطلب الرابع: المنهج الصوفي في قبول الآخر والحوار معه:

من الفضائل التي يربيها التصوف لدى سالكي طريقه؛ الإخلاص في إنجاز الأعمال والقدرة على تحمل المسئولية بكل ما تتطلبه من صبر على مشاقها برضا ودون جزع أو تذمر، وكذلك التعاون مع الآخرين في كل عمل نافع، وبشكل عام فإن الصوفي الحقيقي إنسان إيجابي يخدم نفسه كما يخدم الآخرين، يكشف عيوب نفسه ليعالجها في نفسه وفي الغير، ويرتفع بمستوى حياته الروحية ليعالجها في نفسه وفي الغير، ويرتفع بمستوى حياته الروحية؛ ليجعل منها نموذجًا يحتذى[٢].

ومن المعلوم أن الحياة الاجتماعية تتشكل من تجمع الأفراد وحركتهم في الحياة، فهذه الحركة وفقًا للتربية الصوفية الإسلامية توازن بين التركيز على الجانب الفردي والجانب الاجتماعي؛ فالصوفي لا يعيش لنفسه فقط، ولا يمارس عبادته ورياضاته منعزلًا، بل مع جماعة وفي المجتمع، فيرتاض على التعاون مع الآخرين على البر والتقوى، والتعامل مع الغير بالمعروف والإحسان والحلم والصفح والصبر وغير ذلك من الفضائل التي لا تظهر إلَّا في الحياة الاجتماعية، والتي هي شرط من الشروط الرئيسية التي ينبغي للسالك تحقيقها حتى يصبح تحقيق غايته القوى من سعيه أمرًا

---

(١) ينظر: محمد زكي إبراهيم، معارفة إجمالية عن التصوف درس أساسي هام يجب أن يستوعبه كل صوفي، مجلة المسلم، العدد ١٢، سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، ص ٦١٩.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي ص ٢٤.

ممكنا[1].

وبيَّن الصوفية أن من تصحيح بداية سلوك طريق التصوف تحديد العلاقة والحوار مع الآخر سواء كان صالحًا أو فاسدًا، فتجد ابن عبد البر الونائي (ت: ١٢١٢هـ) يقول: «**وتصحيحُ البدايةِ بأربعةِ أشياءَ:**

الأوَّلُ: إقامةُ الأمرِ على مُشاهَدةِ الإخلاصِ ومُتابَعةِ السُّنَّةِ.

الثَّاني: تعظيمُ النَّهيِ على مُشاهَدةِ الخوفِ ورعايةِ الحُرمةِ.

الثَّالثُ: الشَّفَقةُ على العوامِّ ببذلِ النَّصيحةِ، وكفِّ المُؤنةِ.

الرَّابعُ: مجانَبةُ كلِّ صاحبٍ يُفسِدُ الوقتَ، وكلِّ سببٍ يقسِّي القلبَ»[2].

وأساس العلاقة وقبول الآخر والحوار معه عند الصوفية هو منظومة الأخلاق التي دعا إليها التصوف الإسلامي؛ باعتبارها من طبيعة التصوف وأركانه الأصيلة، وقد بيَّن الإمام الرائد رحمه الله (ت: ١٩٩٨م) ذلك بقوله: «ومن ثم تكون طبيعة التصوف ركنا أصيلا في الحفاظ على المعاني الإنسانية من نحو الأمن والاستقرار، وسيادة الود والسماحة، والأخذ بالأرفق والأوفق والأوثق، واستبدال الخصام بالوئام، والتعاون على البر والتقوى، والإيمان بالبذل والسخاء والتكافل الأخوي، واستباق الخيرات على مختلف صورها العصرية وغير العصرية»[3].

وتأكيدًا على هذا المبدأ الأخلاقي في التعامل مع الآخر والحوار معه عند الصوفية قول ابن عبد البر الونائي (ت: ١٢١٢هـ): «اعلَمْ أن لمذهَبِ الصُّوفيَّةِ أحوال ومَقامات وأخلاق وآداب ورُخَص؛ فالرُّخَصُ أدناها. فمَن تمسَّك بالكلِّ فهو من المتحقِّقِين، ومَن تمسَّك بالظَّواهرِ من الأخلاقِ والآدابِ فهو من المتوسِّمِين، ومن تمسَّك بالرُّخَصِ وتأدَّب بآدابِهم فيها فهو من المتشبِّهِين الصَّادقِين الَّذين ألحَقَهم النَّبيُّ

---

(١) ينظر: عزمي طه السيد أحمد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ١٦٩.

(٢) ابن عبد البر الونائي: دليل السالك إلى مالك الممالك، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٣) ينظر: محمد زكي إبراهيم، أثر الطرق الصوفية في المجتمع، مجلة المسلم، العدد ٨، سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م، ص ٦٩٠.

عليه الصلاة والسلام بهم بقولِه: **«وَمَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ»**[١]، و: **«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**[٢]، و: **«مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**[٣]»[٤].

ومن معالم المنهج الصوفي التسامح واللين باعتبارهما سلوكًا إنسانيًّا للتعامل مع الآخر من بني الإنسان دون تمييز بينهم، وذلك مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[٥]، يقول القشيري (ت: ٤٦٥هـ): « يعاشرون الناس بحسن الخلق فيبدأون بالإنصاف ولا يطلبون الانتصاف، وإن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء، وإن أذنب إليهم قوم اعتذروا عنهم، وإن مرضوا عادوهم»[٦].

ومن معالم المنهج الصوفي في التعامل مع الآخر اتخاذ أخوة في الدين والتماس الآثار الحسنة لتلك الأخوة، يقول ابن الصباغ (ت: ٤٧٧هـ): «والأخوة في الدين نافعة في الدنيا والآخرة؛ فإن التواصل والتحابب لله تعالى من أعظم القرب، وأكثرها ثوابا، وهي في الدنيا معونة عليها، يزيل لقاء الإخوان الهم، ويسر النفس، ويساعد الأخ على نوائب الدهر، وأقل أحواله أن يبثه همومه، ويستشيره في أموره، ويدله على عيوبه، ويُقبِل عليه إذا حدَّث، ويرد غيبه إذا غاب، وللنفس حظ محادثة من يحسن الاستماع»[٧].

وكذلك من معالم منهج التصوف في الحوار مع الآخر وتعامله معه أن يسلِّم الإنسان أخاه من شروره، وجعلوا هذا من دوافع الخلوة للعبادة، حيث يقول ابن عبد البر الونائي (ت: ١٢١٢هـ): « **ومن حقِّ العبدِ إذا آثَر الخَلوةَ ثلاثةُ أشياءَ:**

---

(١) ذكَره السُّلَميُّ في وصية الشَّيخ ٤٢، بلفظه. وأخرجه البخاريُّ في صحيحه (٦١٦٩)، ومسلم في صحيحه (٢٦٤٠)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٣١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الدَّيلميُّ في الفردوس (٥٦٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) ابن عبد البر الونائي: دليل السالك إلى مالك الممالك، ص ١٣٤.

(٥) سورة الرعد، الآية رقم ٢٢.

(٦) القشيري، لطائف الإشارات، ٢/ ٢٢٧.

(٧) ابن الصباغ: الطريق السالم إلى الله تعالى، ص ٦٧٢.

أنْ يعتقِدَ باعتزالِه سلامةَ النَّاسِ من شرِّه؛ لأنَّ هذا نتيجةُ استصغارِ نفسِه، ومَن رأى لنفسِه مَزيَّةً على أحدٍ؛ فهو متكبِّرٌ.

وأن يحصِّلَ من العلومِ ما يصحِّحُ به توحيدَه، وما يؤدِّي به فرضَه ونفْلَه.

وأنْ يكونَ خاليًا من جميعِ الأذكارِ إلَّا ذِكرَ ربِّه، خاليًا من جميعِ الإراداتِ إلَّا إرادةَ رضا ربِّه، وخاليًا من مطالَبةِ النَّفسِ من جميعِ الأسبابِ.

ومَن لم يكُن بهذه الصِّفةِ، فإنَّ خَلوتَه تُوقِعُه في فتنةٍ أو بَليَّةٍ»[1].

ويقول أبو يعقوبَ السُّوسيُّ- (ت: ٣٣٠هـ)-: «الانفرادُ عن النَّاسِ لا يقوَى عليه إلَّا الأقوياءُ في الدِّين، ولأمثالِنا الاجتماعُ أنفعُ؛ يعمَلُ بعضُهم على رؤيةِ بعضٍ»[2]؛ أي: فالخُلْطةُ تنشِّطُ الضُّعفاءَ على العملِ[3].

ومن صور معالم المنهج الصوفي في التعامل مع الآخر ترك المخاصمة والمعاداة معه، يقول ابن الصباغ (ت: ٤٧٧هـ): «وينبغي أن يتجنب الإنسان المشارَّة[4] والمعاداة، فإن كان المعادَى مخالفًا للدين والطريق المستقيم، فالواجب ألَّا يوالَى ولا يُودَّ، فأما قصد الإضرار وتتبع عثراته، فليس مأخوذ ذلك عليه، قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [5]، فأمر بجدالهم بالتي هي أحسن مع كونهم مشاقِّين للمسلمين، إلا من تعدَّى منهم وبدأ الظلم»[6].

مما سبق يتبيَّن أن منهج الصوفية في الحوار مع الآخر قائم على الأسس الشرعية الواردة في مصادر الدين الإسلامي من كتاب وسنة.

---

[1] ابن عبد البر الونائي: دليل السالك إلى مالك الممالك، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: البيهقي: الزهد الكبير (١٨٥)، والقشيري: الرسالة القشيرية، ٢٢٥/١.

[3] ابن عبد البر الونائي: دليل السالك إلى مالك الممالك، ص ١٥٣.

[4] المشارة: المخاصمة. الجوهري: الصحاح، ٢/ ٦٩٥.

[5] سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٦.

[6] ابن الصباغ: الطريق السالم إلى الله تعالى، ص ٦٧٢، ٦٧٣.

المبحث الثاني

دور التصوف في النهضة الحضارية

للتصوف الإسلامي دور كبير في نهضة الأمة الإسلامية وحضارتها؛ فهو حلقة من حلقات الفكر الإسلامي الذي كان له أثره في الحياة العامة للمسلمين، هذا الأثر ظهر جليًّا في كافة الجوانب الحضارية؛ سواء كانت علمية أو سياسية أو عمرانية؛ لذا يقول الإمام الرائد (ت: ١٩٩٨م): «إن التصوف- وهو كما نسميه علم فقه المعرفة- وهو ما جاء به الوحي من علم وإيمان وعمل وخلق وجهاد، واستعلاء ضرورة حتمية لتحقيق النجاح العسكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعمراني وغيره»[١].

وسوف أحاول في هذا البحث إبراز هذا الدور الحضاري للتصوف.

المطلب الأول: دور التصوف في النهضة العلمية:

التصوف له إسهام كبير في النهضة العلمية والفكرية للمجتمع المسلم، لهذا الإسهام مظاهر عديدة؛ منها: أن التصوف ذا أثر في محاربة الأفكار الهدامة التي تدعو إلى الغلو والتطرف، الذي يفضي إلى عدم استقرار الأوطان وزعزعة أمنها، فالتصوف يهدف إلى صلاح المجتمع فكريًّا باتباع الكتاب والسنة النبوية، فهذا يحيى بن معاذ يدعو إلى اجتناب الغلو وأصحابه، فيقول: «اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين»[٢].

ويؤكد على ذلك النصرأباذي رحمه الله (ت: ٣٦٧هـ) فيقول: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات»[٣].

ويزيد الإمام الرائد رحمه الله (ت: ١٩٩٨م) كل هذا تفصيلًا بقوله: «والتصوف من حيث هو عقيدة وخلق يعتبر من الوجهة العملية والاجتماعية ضرورة حتمية لا

---

(١) ينظر: محمد زكي إبراهيم، الطرق الصوفية في مصر ودورها في إعداد الشباب والرجال، مجلة المسلم، سنة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) ينظر: السلمي، طبقات الصوفية ص ١٠٢.

(٣) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية ١/ ١٤٥.

بديل لها في مكافحة الجريمة وتحقيق الأمن الخاص والعام وتقويم الانحراف، وإيقاظ الضمير، والتماس معالي الأمور في الحس والمعنى، والدفع التقدمي إلى منتهى مقاصد المجد والشرف والعزة؛ إذ إن الصوفي يعامل الله في كل مطالب الحياة؛ فالتاجر الصوفي لا يغش، والعامل الصوفي لا يهمل، والحارس الصوفي لا يخون، والصانع الصوفي يجدد ويخترع ويبتكر، والموظف الصوفي شريف مجتهد، والفلاح الصوفي جاد منتج، فالتصوف إذن ضرورة حتمية لخدمة الحياة الدينية والاجتماعية، والعملية والفكرية، والأدبية والوظيفية، والجندية والتجارية، والتربوية والتقدمية، وغيرها بعيدا عن الدعاوى والمظهريات»[1].

ومن مظاهر إسهام التصوف في النهضة العلمية والفكرية أيضًا: مواجهته أخطار العولمة المعاصرة وهي عولمة غربية الثقافة، تسعى إلى رفع كل الحواجز أمام جعل العالم يسير على نظام واحد في الاقتصاد والاجتماع والثقافة وكل مناحي الحياة هو النظام السائد في الغرب، فالعولمة الثقافية في جوهرها غزو ثقافي متطور ومزود بأحدث الأساليب كوسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ويستخدم وسائل متنوعة، والتصوف من خلال الإيمان الراسخ بعقيدة الإسلام والاتباع لشريعة الإسلام يساهم في التحصن ضد هذه العولمة الثقافية البعيدة في غالبية جوانبها عن شريعة الإسلام[2].

ومن مظاهر إسهام الصوفية في النهضة العلمية للأمة الإسلامية كذلك: مشاركتهم في النهضة العلمية في كافة عصور الأمة؛ فقد أسهموا بالتأليف ووضع الكتب والمصنفات في علوم شتى؛ ففي علم تفسير القرآن الكريم ألَّف أبو محمد التستري (ت: ٢٨٣هـ) تفسيره، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ) تفسيره «حقائق التفسير»، وعبد الكريم القشيري (ت: ٤٦٥هـ) تفسيره «لطائف الإشارات»، وأحمد بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ) تفسيره «البحر المديد».

وفي الحديث ألف أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) «تنبيه الغافلين بأحاديث

---

(١) ينظر: محمد زكي إبراهيم، البداية ص ١١.

(٢) ينظر: عزمي طه السيد أحمد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ١٧١.

سيد الأنبياء والمرسلين»، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ) «الأربعون في التصوف»، وأبو سعد الماليني (ت: ٤١٢هـ) «كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية».

وفي الفقه ألف الإمام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) كتبًا فيه، منها: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، و«الفتاوى»، كما ألف في أصول الفقه أيضًا كتابه «المستصفى»، و«المنخول».

وفي علوم العربية ألف أحمد بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ) «الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الآجرومية» في النحو، كما أن من الصوفية أدباء وشعراء ومن هؤلاء الشعراء الإمام شرف الدين البوصيري (ت: ٦٩٦هـ) صاحب البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي علم سلوك الطريق والزهد والآداب والأخلاق ألفت كتب كثيرة من أجمعها وأشملها كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وشرحه المسمى «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» لمحمد المرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)[١].

لم يكن دور الصوفية الإسهام في التأليف بحسب بل قرنوا بين العلوم والتصوف، وبينوا أن الصوفي لا بد له أن يتعلم العلوم الشرعية الأخرى، لذا تجد الشيخ زروق (ت: ٨٩٩هـ) يقول: «من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»[٢].

وتطور إسهام الصوفية في العلوم إلى ابتكار أشياء علمية لها تعلق بالروح الصوفية، مما يمكن القول معه: إن الصوفية أحدثوا تجديدًا في العلوم الشرعية لم يسبقهم إليه أحد، ولعل ذلك لتضلعهم بعلوم الباطن وعنايتهم بها مع مراعاة الظاهر؛ ففي التفسير أوجدوا نوعًا جديدًا من التفسير يسمى بالتفسير الإشاري أو التفسير الفيضي وهو «تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات

---

[١] ينظر: معلمة المناهج الأزهرية ٨/ ٥٨، ١٥٣.

[٢] ينظر: أحمد زروق: قواعد التصوف، القاعدة ٤.

خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المراد»[١]. وقد ذكرت بعض هذه التفاسير قريبًا، ومنها أيضًا تفسير «التأويلات النجمية» لنجم الدين الكبرى الخوارزمي (ت: ٦١٨هـ).

ومما جدده الصوفية من العلوم ما أطلقوا عليه نحو العبارة أو نحو الإشارة أو نحو القلوب، وهو دراسة النحو العربي بطريقة صوفية تعتمد على الإشارات والأذواق الروحية، ويقول عبد السلام المقدسي (ت: ٦٧٨هـ): «لما كان لأهل العبار نحو لتقويم اللسان، كان لأهل الإشارة نحو لتقويم الجنان، فقال أهل العبارة: نحونا مفصل على ثلاثة فصول: أسماء، وأفعال، وحروف، وقال أهل الإشارة: نحونا محصل من ثلاثة أصول: أقوال، وأحوال، وأفعال»[٢].

ومن أوائل من ألف في هذا الفن من النحو الإمام عبد الكريم القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، فألف «نحو القلوب الصغير»، و«نحو القلوب الكبير»، والذي قال في أوله: «النحو في اللغة هو القصد إلى صواب الكلام، يقال: نحوت نحوه أي قصدت قصده، وهذا النوع في العربية يسمى نحوا؛ لأنه القصد إلى صواب الكلام، فنحو القلب القصد إلى حميد القول بالقلب، وحميد القول مخاطبة الحق بلسان القلب، وينقسم ذلك إلى: المناداة والمناجاة، فالمناداة صفة العابدين، والمناجاة نعت الواجدين، المناداة على الباب، والمناجاة على بساط القرب، فموقف العابد أبواب الخدمة، ومربع الواجد بساط القربة»[٣].

وهكذا كان الجانب الإشاري المعتمد على التذوق الروحي، واستخراج بواطن الأشياء كما تُستخرج ظواهرها- هو الأمر المُلفت في حركة تجديد العلوم الإسلامية عند الصوفية وأصحاب سلوك الطريق؛ ليجتمع لهم علم الشريعة والحقيقة والطريقة.

تبين مما قدمته مدى إسهام الصوفية في النهضة العلمية التي شهدتها الأمة

---

[١] ينظر: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ٢/ ٢٦١.

[٢] عبد السلام المقدسي: تلخيص العبارة إلى نحو أهل الإشارة، ص ٢١.

[٣] القشيري: نحو القلوب الكبير، ص ٣٧.

الإسلامية، ولم يكن الصوفية بمنأى عن مواكبة التطور الحضاري للأمة في كافة عصورها وتاريخها، بل كانوا جزءا لا يتجزأ من حضارة الأمة.

المطلب الثاني: دور التصوف في النهضة المجتمعية والسياسية:

للتصوف إسهام كبير في النهوض بالحياة المجتمعية والسياسية وما يتعلق بهما، فهو يسعى إلى تحقيق الحرية الحقيقية للفرد، وذلك لأن السعي الصوفي لا يقبل أن تكون الطاعة إلا لله وحده، ولا أن يكون الخضوع إلا لأمره ونهيه، وأوامر الله ونهيه، وهدايته وإرشاده التي وردت في الدين الإسلامي الذي يلتزم به الصوفي، شاملة لكل جوانب الحياة، مستوعبة لجميع مناشط الإنسان فيها، وهذا يعني أن الصوفي المسلم ليس بحاجة إلى إرشاد من خارج الدين، وليس بحاجة إلى إطاعة إنسان إلا إذا كان يأمره بطاعة الله، فترتد الطاعة طاعة لله لا طاعة لهذا الإنسان، فهذه العبودية الخالصة لله هي العزة الحقيقية للإنسان في النظرة الإسلامية بعامة والتصوف الإسلامي، وتتجاوز الحرية التي يحققها التصوف الإسلامي حدود الواقع الدنيوي المادي إلى حرية الانطلاق الروحي[١].

فالتصوف الإسلامي في ذاته وأهدافه حركة إصلاحية اجتماعية وروحية شاملة يترتب عليها صلاح الفرد والجماعة والشعب والدولة من كل جوانبها؛ السياسية والاقتصادية والعمرانية وما يتعلق بها، فمتى استقام الباطن على الطريقة المثلى والعلاقة الكبرى بالله، كان أداة تنفيذ آلي لحكم الله وقوانين السماء لا يقوى بفطرته وحكم تربيته أن يزل عنها أو يترخص فيها، وبهذا تستقر الدولة وتتقدم ومن ورائها كل قوى السماء[٢].

والتصوف أيضًا يساهم في توطيد العلاقة بين الإنسان والغيب؛ فالصوفي يتعامل مع الغيب وفقًا لما ورد عن الله سبحانه وتعالى من وصف وتوجيه في التعامل في

---

(١) ينظر: سيد حسن نصر: الصوفية بين الأمس واليوم، ص ٢٠٠، وعزمي طه السيد أحمد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤.

(٢) ينظر: محمد زكي إبراهيم، معارفة إجمالية عن التصوف درس أساسي هام يجب أن يستوعبه كل صوفي، مجلة المسلم، العدد ١٢، سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، ص ٦١٩، ٦٢٠.

الوحي الصادق أي في الدين؛ فهو يؤمن بالغيب، هذا الإيمان تتحقق من خلاله الطمأنينة القلبية والعقلية، تلك العلاقة بين الإنسان والغيب يحقق قدرا كبيرا من السلام النفسي، فيتيح للإنسان التوجه بطاقاته العقلية والبدينة للإنجاز في شتى مجالات الحياة مجتمعية أو سياسية أو غيرهما، كل حسب قدراته وطاقته، فعلى الجانب الآخر نجد أن العلمنة والإفراط فيها والشائع في المجتمعات الغربية أعاق انطلاقة الروح وشوقها الفطري في التقرب إلى الله سبحانه الذي خلق كل شيء، وأكثر من ذلك جعلت تحقيق السلام على هذه الأرض أمرًا عسيرًا؛ لأنه من المحال عقليا أن نتوقع السلام من حضارة نسيت الله وتجاهلت الغيب، ولم تأبه لحاجات الإنسان الروحية التي تتجاوز نطاق وجوده الأرضي، وحولت غالبية مصالحه إلى حاجات مادية حيوانية لا يحدها حد ولا يضبطها وازع[1].

والتصوف أحد القوى التي يمكن أن تسهم في بقاء الأمة الإسلامية؛ فالتصوف المؤصل على قواعد الشرع الإسلامي النابع من وجدان الأمة الإسلامية هو الذي ثبت في معركة البقاء والوجود وقت ضعف الأمة السياسي؛ حيث إن التصوف بدأ في الأمة الإسلامية لأسباب سياسية، وهو نصرة الأمة والدفاع عن تطورها[2].

وقد كان للصوفية نفوذ هائل عند الناس والعامة، وكان هذا النفوذ السبب في قدرتهم على توجيه الأمة توجيها وجدانيا، وانعكس هذا النفوذ في هيبتهم عند الحكام، وهذا النفوذ الذي تهيأ لشيوخ الطريق عند حكام البلد كان يمثل سلطة الشعب أما هؤلاء الطغاة، وبهذا تجلت إرادة الأمة في أسود الأيام التي سجل فيها التاريخ استكانتها لاستبعاد الحكام، وقد أفاد الشعب من وراء هذا النفوذ شيئا آخر وهو رد الظلم والكف عن البغي ورفع العدوان، ذلك أن شيوخ الطريق كانوا حلقة اتصال بين الشعب

---

(1) ينظر: سيد حسن نصر: الصوفية بين الأمس واليوم، ص ٢٠٢، وعزمي طه السيد أحمد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ١٧٢، ١٧٣.

(2) ينظر: مصطفى غلوش: دور الصوفية في الحفاظ على الأمة في فترات الضعف السياسي، ص ٣٠، ٣١، ٣٥.

المظلوم وحاكمه الجائر[١].

وكان أئمة الصوفية على رأس من يحفظون الأمن المجتمعي والسياسي للبلدان الإسلامية في وجه الطغاة والغزاة، ولم يكونوا بعيدًا عن الأحداث والشدائد التي تلم بالأمة، فهذا أنموذج من الصوفية الذين دافعوا عن بلاد الإسلام بعدما فرَّ حاكمها، وهو الشيخ نجم الدين الكبرى (ت: ٦١٨هـ) الذي استُشهد رحمه الله تعالى بخوارزم في فتنة التتار، وذلك أن سلطانها لما فرَّ جمع الشيخ أصحابه وكانوا نحو ستين، فقال لهم: ارتحلوا إلى بلادكم، فإنه قد خرجت نار من المشرق تحرق إلى قرب المغرب، وهي فتنة عظيمة ما وقع في هذه الأمة مثلها، فقال له بعضهم: لو دعوت برفعها، فقال: هذا قضاء محكم لا ينفع فيه الدعاء. فقالوا له: تخرج معنا، فقال: إني أقتل ههنا، فخرج أصحابه.

فلما دخل الكفَّار البلد نادى الشيخ وأصحابه الباقون: الصلاة جامعة، ثم قال: قوموا نقاتل في سبيل الله، ودخل البيت ولبس خرقة شيخه، وحمل على العدو فرماهم بالحجارة، ورموه بالنبل، وجعل يدور ويرقص حتى أصابه سهم في صدره فنزعه ورمى به نحو السماء، وفار الدم وهو يقول: إن أردت فاقتلني بالوصال أو بالفراق. ثم مات ودفن في رباطه رحمه الله تعالى[٢].

مما سبق يتضح بجلاء دور الصوفية في الحفاظ على النهضة السياسية والمجتمعية؛ وذلك من خلال المحافظة على أمن البلاد واستقرارها، والوقوف في وجه الطغاة والمعتدين عليها؛ ولا شك في أن هذا يسهم في رقي الأوطان والحفاظ على حضارتها.

المطلب الثالث: دور التصوف في النهضة العمرانية:

يساهم التصوف الإسلامي في جعل الحضارة أمر محقق؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وهذا الاستخلاف لم يكن

---

[١] ينظر: توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ص ٤٠.

[٢] ينظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٧/ ١٤٢.

منحصرًا في أداء الأعمال التعبدية فحسب من صلاة وصوم وزكاة وحج، وإنما هو توجه مخلص إلى الله يحقق المعنى العام للعبادة الذي تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة لله تعالى؛ بتحري مراده وامتثال أمره، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1]، وعندما تحصل هذه الحال من الاستشعار الدائم لأمر الخلافة، فإن ذلك من شأنه أن يستنفر في الذات كامل قواها الذهنية والنفسية والمادية للاستجابة لمتطلبات هذا الأمر الجلل، والمضي في إنجازه بقوة[2].

إن تحقيق خلافة الإنسان لله في الأرض وعبادته فيها هما في الحقيقة وسيلة الصوفي الحقيقي إلى القرب من الله والوصول إلى حضرته، هذان المفهومان- الخلافة والعبادة- يشملان عند التحقيق كل عمل نافع وجاد وخير وفقًا لمنظور الإسلام[3].

ويساهم التصوف الإسلامي كذلك في إيجاد التوازن العادل والسمو الخلقي والروحي في حياة الفرد والمجتمع، فهو يجعل الإنسان موصولًا من جهة روحه بالله تعالى، يقبس من نوره الهدى، وموصولًا من جهة جسمه بالأرض يفعل فيها بالتعمير وفق ذلك الهدى[4].

إذن فإن العمران البشري لا يقتصر على فن البناء بأنماطه وأشكاله وهندسته فحسب، بل يعني بالمفهوم الإسلامي القيام بأعباء الاستخلاف وفق فلسفة الإسلام الكونية، وبذلك يتمثل النشاط البشري في كل المجالات المادية والفكرية والثقافية على السواء، ومدلول التعمير يرادف مدلول الحضارة بصفة عامة[5].

---

[1] سورة الأنعام، الآية رقم ١٦٢.

[2] ينظر: عبد المجيد النجار: فقه التحضر الإسلامي، ص ٥٢.

[3] ينظر: عزمي طه السيد أحمد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ١٧١.

[4] ينظر: عبد المجيد النجار: فقه التحضر الإسلامي، ص ٥٥، ٧٦.

[5] ينظر: لكديم الصوصي مولاي إبراهيم: الدين والتمدين ضمن المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، ص ٨٦.

وهذا التعمير المشار إليه في الفكر الصوفي كان قائمًا على أرض الواقع، فوُجدت البنايات العمرانية الخاصة بالصوفية، خصصت هذه البنايات لأداء السالكين طريق الشريعة والحقيقة عباداتهم وخلوتهم التي يتقربون من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى، وكان من أبرز هذه البنايات الخانقاهات[١] المنتشرة في كافة البلدان الإسلامية شرقًا وغربًا، والتي أوقفها السلاطين والحُكَّام والأغنياء على الصوفية للعبادة والانقطاع عن الدنيا وملذاتها؛ فهذا السلطان نور الدين محمود قد بنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وأدر عليهم الإدرارات الصالحة[٢].

وكذلك أوقف السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩هـ) خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة على الصوفية ورتب لهم كل يوم طعامًا ولحمًا وخبزًا، وهي أول خانقاه عملت بمصر، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم[٣].

ومن الخانقاهات الشهيرة أيضًا بالقاهرة خانقاه بيبرس الجاشكنير (ت: ٧٠٩هـ) التي وصفها المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) وصفًا يبيّن قيمتها المعمارية والحضارية فقال: «وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانًا، وأوسعها مقدارًا، وأتقنها صنعة بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوريّ قبل أن يلي السلطنة، وهو أمير. فبدأ في بنائها في سنة ست وسبعمائة، وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل إليه من داخلها، وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره، ولهذه القبة شبابيك تشرف على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر، من جملتها الشباك الكبير الذي حمله الأمير أبو الحارث البساسيريّ- (ت: ٤٥١هـ)- من بغداد»[٤].

---

(١) الخانقاهات: جمع الخانقاه، وهي كلمة فارسية قيل: أصلها خونكاه، أي: الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي زوايا الصوفية لم تعهد على هذا النمط إلا في القرن السادس. ينظر: كرد علي: خطط الشام، ٦/ ١٣٠.

(٢) ينظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ١/ ٤٧، ٥١.

(٣) ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ٢٦٠.

(٤) ينظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤/ ٢٨٥.

ومن البنايات الصوفية التي اشتهرت بها الحضارة الإسلامية عبر تاريخها الأربطة، وهي دور يسكنها أهل طريق الله، والأربطة جمع مفردها الرباط وهو بيت الصوفية ومنزلهم ودارهم، وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك، فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة[١].

وقد كان في مدينة دمشق ثلاثة وعشرون رباطًا، منها: رباط الشيخ محيي الدين (ت: ٦٣٨هـ) بالصالحية، بناه السلطان سليم خان العثماني (ت: ٩٢٦هـ) على قبر محيي الدين ابن عربي، وجعله جامعا وتكية لطعام الفقراء في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة[٢].

ومن البنايات الصوفية التي أحدثت نهضة حضارية في تاريخ الأمة الإسلامية الزوايا المختلفة في البلدان الإسلامية، والتي كان لها دور بارز في المجتمع الإسلامي اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا، ففي مدينة مراكش ببلاد المغرب أسس الشيخ الصوفي عبد الله بن حسين الأمغاري (ت: ٩٧٦هـ) زاوية تامصلوحت التي تعد من أشهر الزوايا بالمغرب، والتي كان لها أثرها في المجال الزراعي واستصلاح العديد من الأراضي التي جاءت نتيجة تعمير إنشاء هذه الزاوية وتعمير ما حولها من أراضٍ[٣].

وكان بالقاهرة وغيرها من البلدان الإسلامية زوايا عدة اختص بها الصوفية تعد أثرًا على الحضارة العمرانية، من تلك الزوايا زاوية الجميزة من جملة أراضي الزهري خارج باب زويلة، أنشأها الأمير سيف الدين جيرك السلاحدار المنصوري أحد أمراء الملك المنصور قلاوون (ت: ٦٨٩هـ) في سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وجعل فيها عدة من الفقراء الصوفية[٤].

ولا شك أن مثل هذه البنايات التي اختص بها الصوفية تحمل على صفحات

---

[١] ينظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤/ ٣٠٢.

[٢] ينظر: كرد علي: خطط الشام، ٦/ ١٣٤، ١٣٥.

[٣] ينظر: محمد جنبوبي: الأولياء في المغرب، ص ١٥٦، وابن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ص ٩٥، ٩٦.

[٤] ينظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٤/ ٣٠٩.

جدرانها تاريخًا يشهد على ثراء الحضارة الإسلامية وازدهارها في عصور أمتها المختلفة بالبنايات العمرانية الجميلة الشاهقة، التي أصبحت آثارًا وتراثًا تدل على عظمة الحضارة الإسلامية وتراثها المعماري، كما أنها شاهدة على أثر الصوفية في التراث العمراني للأمة الإسلامية في عصور تاريخها المختلفة.

المبحث الثالث

مصادر الأخلاق عند الصوفية وأثرها في الإصلاح والنهضة

إن التصوف علم وفكر وسلوك طريق الإصلاح البشري والنهضة المجتمعية، فكان لا بد أن تقوم أخلاق الصوفية على مصادر وأسس تمثل انطلاقًا للصوفي في سبيل الإصلاح والنهضة، وهذه المصادر مرجعها إلى مصدرين رئيسين هما القرآن الكريم والسنة النبوية؛ حيث إن الصوفية يرون أن علومهم وأعمالهم مرجعها إلى هذين المصدرين؛ فإن جوهر السلوك الصوفي هو التقرب إلى الله تعالى، فإن الإسلام قد حث على ذلك في آيات عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [1]، ويكثر الصوفية من تكرار الحديث القدسي الذي يؤكد أن التقرب إلى الله أمر موجود في الدين وأمر ممدوح، وهو قوله تعالى فيما نقله عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[2]، وهذا يؤكد على أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدرا التصوف الرئيسيان.

هذا، وسوف أعرض في هذا المبحث لمصادر الصوفية على طريق الإصلاح والنهضة، وبخاصة فيما يتعلق بالأخلاق، وتهذيب النفس وتربيتها؛ مفصلًا القول على القرآن والسنة النبوية وذكر غيرهما، وهذه المصادر تتمثل في الآتي:

المطلب الأول: القرآن الكريم باعتباره مصدرًا للأخلاق:

القرآن الكريم هو أصل الأصول في الإسلام، منه أخذت العلوم والأحكام، وبإدراك معانيه وما تفرَّع عنها يحوز الإنسان الفنون والفهوم، والتصوف هو ركن الإحسان

---

[1] سورة الذاريات، الآية رقم ٥٠.

[2] ينظر: عزمي طه السيد: التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ص ٦٤، ٦٥. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٠٥ (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القائم على مراقبة الله في السر والعلن، كما يقوم على طريق الشريعة والحقيقة والطريقة، وهذا كله أساسه كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي اهتم بشئون «القيم الروحية والأصول الأخلاقية باعتبارها مادة الحقيقة الإنسانية، وهما البرزخ القائم بين البشرية والحيوانية، وهما معدن أسرار الرحمن في الإنسان، فلن تقوم له قائمة بغيرهما، في كل ما يعتريه من متضادات الحياة ومتناقضاتها، سواء في العسر واليسر، أو المنشط أو المكره، فإن كل حركات الحي وسكناته في مجتمعه مرتبطة كل الارتباط الظاهري والباطني بأصول الأخلاق ومعايير الروح، وبهما توزن رجولته وثروته، ويختبر مدى استعداده لأداء رسالته على الأرض، فالإنسان بغير القيم شيطان أقطع، أو هو مسخ ضال لا هو بالإنسان، ولا هو بالحيوان، ولا هو بالشيطان، وهو في أعلى مراتبه كائن حي»[١].

وثمة أمر يتفرع على القرآن الكريم باعتباره مصدرًا للأخلاق عند الصوفية، وهو **التخلق بمعاني أسماء الله الحسنى،** فمعاني أسماء الله الحسنى تحقق الأدب واكتساب الأخلاق الحميدة التي تنهض بالفرد والمجتمع، ويدلك على ذلك ما نقلوه أن الله سبحانه وتعالى قال: «من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي، ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب، فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب»[٢].

وهذه الأسماء الحسنى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي بهذا يكون مصدرها التي تمثل القرآن وعمل بما جاء فيه- بما في ذلك أسماء الله الحسنى-، وذلك عملًا بحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «**كان خلقه القرآن**»[٣]، وفسر السهروردي **(ت: ٦٣٢هـ)** هذا الحديث من طريق الإشارة فقال: «فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق

---

(١) محمد زكي إبراهيم، إلى الله أيها الرجال، إلى القيم الروحية والأصول الأخلاقية، مجلة المسلم، السنة ١٧، العدد التاسع، القاهرة، ربيع الآخر ١٣٨٧هـ- يوليو ١٩٦٧م، ص ٦.

(٢) ذكره القشيري في الرسالة القشيرية ٢/ ٤٤٨، وابن قيم الجوزية في مدارج السالكين ٢/ ٣٥٧، وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٢٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤١/ ١٤٨ (٢٤٦٠١).

الربانية فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول: متخلقاً بأخلاق الله تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطف المقال، وهذا من وفور علمها وكمال أدبها»[1].

وقد أكد على مصدر الأخلاق عند الصوفية هذا الأمير عبد القادر الجزائري (ت: ١٣٠٠هـ) بقوله: «صح للإنسان- دون سائر المخلوقات- أن يتخلق ويتحقق بجميع الأسماء الإلهية، على تقابلها وتضادها، ويظهر بها ظهورًا حقيقيًّا أصليًّا»[2].

وذكر أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم في مسألة التخلق بالصفات المتضمنة في أسماء الله الحسنى ورد على سبيل الوسيلة الواصلة بين الإنسان وربه؛ حيث لا يمكن أن يباشر الإنسان التخلق دون دليل يملك صفة العصمة والاصطفاء، يقول طه عبد الرحمن: «بيد أن المتخلق لا يباشر التخلق بها كيفما اتفق، بل يتوسل في ذلك بتخلق الرسول عليه الصلاة والسلام، وبهذا يكون التخلق المؤيد ضاربا بجذوره في الأخلاق الإلهية؛ لأن صاحبه يبني تخلقه أساسا على مقتضى التخلق الرباني المتجلي في سلوك نبيه الكريم، لا على مقتضى التخلق الاجتماعي الذي يستفيده من سلوك الجمهور من حوله، ولا على مقتضى التخلق النفساني الذي يحدِّثه به ضميره»[3].

المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم وسنته باعتباره مصدر الأخلاق العملي عند الصوفية:

المصدر الثاني من مصادر تهذيب النفس والأخلاق المفضية إلى الإصلاح والنهضة المجتمعية والحضارية هو صاحب الرسالة وخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنه القدوة العملية الذي يتأسى به المسلمون فيقتدون بأخلاقه وآدابه؛ وقد

---

[1] السهروردي: عوارف المعارف، ص ٢٥١.

[2] عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ١/ ٥٧٥.

[3] طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص ٨٥.

مدح أخلاقه ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١]، وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

لأجل ذلك جعل الصوفية أنفسهم أقرب الناس في التخلق بأخلاقه والسير على هديه، لذا يقول السهروردي (ت: ٦٣٢هـ): «الصوفية أوفر الناس حظا في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بإحياء سنته، والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء وإحياء سنته... فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم وفقوا في بدايتهم لرعاية أقواله، وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله، فأثمر لهم ذلك أن تحققوا في نهاياتهم بأخلاقه، وتحسين الأخلاق لا يتأتي إلا بعد تزكية النفس، وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا»[٣].

وقال السراج الطوسي (ت: ٣٧٨هـ) واصفًا حال الصوفية مع النبي صلى الله عليه وسلم في تحقيق القدوة: «وطالبوا أنفسهم بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأسوة به واقتفاء أثره، بما بلغهم من آدابه وأخلاقه وأفعاله وأحواله، فعظموا ما عظم، وصغروا ما صغر، وقللوا ما قلل، وكثروا ما كثر وكرهوا ما كره، واختاروا ما اختار، وتركوا ما ترك، وصبروا على ما صبر، وعادوا من عادى، ووالوا من والى، وفضلوا من فضل، ورغبوا فيما رغب، وحذروا ما حذر»[٤].

المطلب الثالث: الشيخ المربي ومرافقته مصدر التخلق عند الصوفية:

مرافقة المريد لشيخه شرط في سلوك الطريق الصوفي؛ لأنه مسلكه إلى الهداية، ومن الهداية التحلي بالأخلاق التي يتعلمها من شيخه، لذا تجد الشيخ زروق (ت:

---

[١] سورة القلم، الآية رقم ٤.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ١٤/ ٥١٢ (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] السهروردي: عوارف المعارف، ص ٢٤٨.

[٤] السراج الطوسي: اللمع، ص ١٣٣.

٨٩٩هـ) يقول: «أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم»[١].

ويؤكد الشعراني (ت: ٩٧٣هـ) على أهمية مرافقة الشيخ في هداية مريده في قوله: «كنت أقول في غالب عهود الكتاب وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به أو نحو ذلك من العبارات إشارة إلى أنه لا يلزم من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها بل يحتاج مع ذلك إلى شيخ يريه معالم الطريق»[٢].

وعلى هذا فإن وظيفة الشيخ في حياة المريد هي توجيهه والأخذ بيده إلى الأخلاق؛ بتقديم ما يصلح له، وتأخير ما هو يقبل التأخير، وإرشاده إلى الخروج من الصفات الباطنة الذميمة.

واشترط الصوفية في الشيخ لسلوك طريقه ومتابعة توجيهاته أن يتصف بعدة صفات، فهو «عارف بالكتاب والسنة، عارف بميزان الخواطر النفسية والشيطانية والملكية والرحمانية، عارف بالأصل الذي تنبعث من هذه الخواطر من حضرات الأسماء الإلهية، عارف بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة، عارف بأمزجة المريدين؛ ليعطي كل إنسان من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه، عارف بالعلائق الخارجة عن أعمال الطريق كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوجة والآمال والرياسة، له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أغمام الشياطين، وأيدي العوائق بواسطة رغبة المريد في طريق الله»[٣].

وعلى هذا اعتبر الصوفية الشيخ المربي مصدرًا من مصادر التهذيب والتخلق بالآداب المؤدية إلى الإصلاح والنهضة، ولعل اتخاذ الشيخ يكون لطب السند منه، كما أن فيه اتخاذ لمبدأ الاقتداء، الذي هو أحد طرق التخلق في الإسلام، يقول طه عبد الرحمن: «فإن طالب مرتبة التخلق المؤيَّد يجتهد في البحث عمن تحقق فيه

---

[١] أحمد زروق: قواعد التصوف، القاعدة رقم ٦٥.

[٢] الشعراني: لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية، ص ٤.

[٣] الشعراني: الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، ص ٤٦، ٤٧.

التخلق النبوي، باحثًا عن سنده في ذلك حتى يصعد به إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، ومتى ظفر بهذا المتخلق المستند سلمه قياده وأخذ عنه، وهو متيقن من أنه سوف يحصِّل على يده ما لا يقدر على تحصيله بنفسه، وذلك لإيمانه الذي لا يتزحزح بأن العمل يُتوارث، متخلفًا عن المتخلق، كما يتوارث القول رواية عن راويه»[١].

المطلب الرابع: الإلهام مصدر الأخلاق عند الصوفية:

الإلهام هو تلقي علوم ذاتية حاصلة عن إخبار من الحق بلا واسطة غير، ولا غيرية بين المخبر والمخبر له[٢].

والسبيل إلى حصول الإلهام هو شغل النفس بالمجاهدات، ومحو الصفات الذميمة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكامل الهمة على الله تعالى، فتكون النتيجة أن يتولى الله تعالى القلب، فينوره بأنواع المعارف والعلوم، فتفيض عليه الرحمة، وينشرح صدره لفعل وتقبل الأخلاق الفاضلة؛ لانكشاف الحجاب عن وجه القلب بلطف الرحمة، وتلألئ حقائق الأمور الإلهية، فينسحب ذلك على الجوارح والأخلاق؛ فإن في كل صفة تطهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلَّا على وفقها لا محالة[٣].

وأبرع الصوفية في الإفصاح عن هذا المصدر للأخلاق أبو المواهب الشعراني (ت: ٩٧٣هـ)؛ فقد وضع كتاب «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق»، وأفرده للأخلاق التي امتنَّ الله عليه بها دون غيره من السالكين، فرأى من الواجب عليه دلُّ الناس عليها ليعرفوها فينتفعوا بها عملا وينفعوا الآخرين بإرشادهم إليها، حيث يقول في أول كتابه: «فهذه جملة من النعم والأخلاق التي تفضل الحق تعالى بها علي أوائل دخولي في محبة طريق القوم رضي الله عنهم أجمعين... فكان ذلك من جملة شكر نعمة الله تعالى علي؛ إذ خلقني بهذه الأخلاق

---

[١] طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص ٨٥.

[٢] الكاشاني: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، ص ١١٤.

[٣] ينظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، ١/ ٦٩، ٢١٢.

بعد أن كنت معرًّى منها»[١].

ويصرح في أثناء كتابه المشار إليه بهذا المصدر فيقول: «ثم إلهامي جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار، حيث ذهلت عما ورد في السنة لدهشة وارد أو نحوه... ثم تربية الحق لي برؤيتي العبر في غيري، ثم نفرة نفسي من الدنيا، ومن يحبها، ثم حمايتي من الأتباع الذين يتعصبون لي بالباطل»[٢].

مما سبق يتضح أن مصادر تهذيب الأخلاق التي لها أثر في إصلاح الفرد والمجتمع والنهضة عند أئمة الصوفية يتمثل في أربعة مصادر رئيسية، على ما بينته سلفًا.

---

[١] الشعراني: لطائف المنن والأخلاق، ص ١١.

[٢] الشعراني: لطائف المنن والأخلاق، ص ١٨.

الخاتمة

بعد أن طوَّفت حول موضوع «**التصوف رسالة إصلاح ونهضة- دراسة في المنهج والمصادر**»، أستطيع الوصول إلى عدة نتائج وبعض التوصيات، والتي تتمثل في الآتي:

أولًا: النتائج:

١- أن التصوف ليس مجرد ادعاء القرب وسلوك الطريقة فحسب، ولكن له دور كبير في إصلاح الأفراد والمجتمعات ونهضتهم الحضارية.

٢- السادة الصوفية من خلال منهجهم في الدعوة إلى الإسلام حفظ الله تعالى بهم دينه ونشره في البقاع وصان بهم الإسلام وأهل الإسلام من كيد اللئام في الداخل والخارج.

٣- المنهج الصوفي يسهم بصورة واضحة في ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، تلك العقيدة التي جاءت على منهج أهل السنة والجماعة.

٤- المنهج الصوفي في إصلاح الفرد والمجتمع قائم على الجمع بين الشريعة المتمثلة في أداء العبادات المفروضة على العبد المسلم، وبين الحقيقة التي تُعنى في المقام الأول بالناحية الروحية ودواخل النفس البشرية، فيكون الصلاح أشمل وأعم، خاليًا من أدران الحقد والضغائن الخفية ومن سوء الأخلاق وعدم الانقياد للمولى عز وجل الظاهرية، وهذا لا شك في أنه أقوم لحياة الناس أجمعين.

٥- أساس العلاقة وقبول الآخر والحوار معه عند المتصوفة هو منظومة الأخلاق التي دعا إليها التصوف الإسلامي؛ باعتبارها من طبيعة التصوف وأركانه الأصيلة.

٦- الجانب الإشاري المعتمد على التذوق الروحي، واستخراج بواطن الأشياء كما تُستخرج ظواهرها- هو الأمر المُلفت في حركة تجديد العلوم الإسلامية عند الصوفية وأصحاب سلوك الطريق؛ ليجتمع لهم علم الشريعة والحقيقة والطريقة.

٧- تجلى دور الصوفية في الحفاظ على النهضة السياسية والمجتمعية؛ وذلك من خلال المحافظة على أمن البلاد واستقرارها، والوقوف في وجه الطغاة والمعتدين

عليها؛ ولا شك في أن هذا يسهم في رقي الأوطان والحفاظ على حضارتها.

٨- البنايات العمرانية التي اختص بها الصوفية شاهدة على أثر الصوفية في التراث الحضاري العمراني للأمة الإسلامية في عصور تاريخها المختلفة.

٩- أن أخلاق الصوفية التي لها أثر في الإصلاح والنهضة الحضارية تقوم على مصادر وأسس تمثل انطلاقًا للصوفي في سبيل الإصلاح والنهضة، وهذه المصادر مرجعها إلى مصدرين رئيسين هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

١٠- أن للأخلاق عند الصوفية أربعة مصادر رئيسية منها تُستقى، وهي: القرآن الكريم، والنبي صلى الله عليه وسلم وسنته، والشيخ المربي، والإلهام.

ثانيًا: التوصيات:

١- إعداد الأبحاث العلمية التي تتناول أثر أئمة التصوف الإسلامي فيمن جاء بعدهم من المريدين والعلماء، وإبراز ذلك من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم وسلوكهم.

٢- جمع أوراد وأحزاب ووصايا ووظائف أئمة التصوف الإسلامي في موسوعة شاملة، ويقدم لكل حزب أو ورد أو حزب أو وصية منسوبة إلى إمام أو شيخ بتعريف به وبسيرته.

٣- إعداد الدراسات العلمية في معاهد العلم وأكاديمياته عن أوراد وأحزاب ووصايا ووظائف أئمة التصوف الإسلامي وكيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية، وإبراز الأحداث التاريخية والمجتمعية في الحقب المختلفة التي عاش بها أصحاب هذه الأوراد والأحزاب وغيرهما.

٤- إعداد موسوعة علمية كبرى تشتمل على كل ما يتعلق بالتصوف وبيان دوره وأثره، وتراجم رجاله المبرزين، ورد الشبهات المثارة حوله والتهم التي ألصقت به، وغير ذلك.

٥- إعداد المؤتمرات العلمية للتوعية بدور علماء الأمة الإسلامية وأوليائها في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية، والحفاظ على الأوطان والمجتمعات.

وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا

المصادر والمراجع

١. أحمد القطعاني، القطب الأنور عبد السلام الأسمر، ليبيا والقاهرة، دار الكتاب الليبي ومكتبة جمهورية مصر، ١٩٩٣م.

٢. أحمد بن الحسين البيهقي، الزهد الكبير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٦م.

٣. أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٤. أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.

٥. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦. أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

٨. أحمد بن محمد بن عيسى زروق، قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ.

٩. أحمد محمود الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٥م.

١٠. أحمد مختار عمر، اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١١. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٢. توفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٣. السراج الطوسي أبو نصر، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢٠م.

١٤. سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٥. سيد حسين نصر، الصوفية بين الأمس واليوم، ترجمة: كمال خليل اليازجي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، سنة ١٩٧٥م.

١٦. سير توماس وأرنولد، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

١٧. شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٨. طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

١٩. عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٠. عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٥م.

٢١. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٢٢. عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٣. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٤. عبد الرزاق الكاشاني، لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

٢٥. عبد السلام المقدسي، تلخيص العبارة إلى نحو أهل الإشارة، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٦. عبد السيد بن محمد ابن الصباغ، الطريق السالم إلى الله تعالى، تحقيق: حسام صلاح الضرغامي وأحمد فتحي البشير، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٧. عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، اعتناء: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

٢٨. عبد الكريم بن هوازن القشيري، أربع رسائل في التصوف (القصيدة الصوفية)، تحقيق: قاسم السامرائي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

٢٩. عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٣٠. عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٣١. عبد الكريم بن هوازن القشيري، نحو القلوب الكبير، تحقيق وشرح ودراسة: إبراهيم بسيوني وأحمد علم الدين الجندي، دار عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى،

سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣٢. عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٣. عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، نشرة الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٤. عبد الوهاب الشعراني، القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، تحقيق: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٥. عبد الوهاب الشعراني، الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، تحقيق: حسن الشرقاوي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩١م.

٣٦. عبد الوهاب الشعراني، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، دار التقوى، دمشق، سنة ٢٠٠٤م.

٣٧. عبد الوهاب الشعراني، لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، تقديم: محمد الإدلبي، دار القلم العربي، سنة ١٩٩٣م.

٣٨. عزمي طه السيد أحمد، التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

٣٩. علي بن عبد البر الونائي، دليل السالك إلى مالك الممالك لما اشتمل عليه من علم التوحيد، والفقه، وعلم تنوير القلب الحالك، تحقيق: نصر طه نصر طه المطولي وعمرو محمد بكري الطبرانجي، دار الإحسان للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٢٤هـ.

٤٠. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤١. عمر بن محمد السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق: توفيق علي وهبة وأحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٤٢. عمر بن محمد السهروردي، نغبة البيان في تفسير القرآن، تحقيق: ياشار دوزنلي، استانبول، ١٩٩٤م.

٤٣. كرد علي محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٤. لكديم الصوصي مولاي إبراهيم، الدين والتمدين ضمن المدينة المغربية العتيقة إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل، جامعة القاضي عياض، مراكش، سنة ٢٠٠٣م.

٤٥. محمد أبو زهرة، الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة وما يجب الآن، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

٤٦. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤٧. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البُخاري المُسمَّى الجامع المُسند الصَّحيح المُختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيَّامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.

٤٨. محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤٩. محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥٠. محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، عيوب النفس، دار الصحابة، الطبعة الثانية، طنطا، ١٩٩٣م.

٥١. محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، وصية الشَّيخ، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة، طنطا.

٥٢. محمد بن تاج العارفين بن علي المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥٣. محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٥٤. محمد بن علي ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، حققه وراجعه: جماعة، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثامنة، سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٥. محمد بن قاسم البكي الكومي، تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت.

٥٦. محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

٥٧. محمد بن محمد المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٥٨. محمد جنبوبي، الأولياء في المغرب، مطبعة دار القرويين، سنة ٢٠٠٤م.

٥٩. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

٦٠. محمد زكي إبراهيم، أثر الطرق الصوفية في المجتمع، مجلة المسلم، العدد ٨، سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٦١. محمد زكي إبراهيم، البداية، منشورات ومطبوعات العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٦٢. محمد زكي إبراهيم، الطرق الصوفية في مصر ودورها في إعداد الشباب والرجال، مجلة المسلم، سنة ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٦٣. محمد زكي إبراهيم، خلاصة العقائد في الإسلام وهو ما يجب على كل مسلم

ومسلمة معرفته، اعتنى بها وعلق عليها: محيي الدين حسين يوسف الإسنوي، منشورات ومطبوعات العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦٤. محمد زكي إبراهيم، معارفة إجمالية عن التصوف درس أساسي هام يجب أن يستوعبه كل صوفي، مجلة المسلم، العدد ١٢، سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

٦٥. محمد زكي إبراهيم، يا ولدي مختارات في معاني التصوف وقواعد الدعوة إلى الله، محمد زكي إبراهيم، منشورات ومطبوعات العشيرة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.

٦٦. محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م.

٦٧. محمد فريد وجدي، من معالم الإسلام، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٨. محيي الدين الألوائي، الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية، مجلة الأزهر، المجلد ٥٤، الجزء الثامن، السنة التاسعة والأربعون، عدد ذو القعدة سنة ١٣٩٧هـ- نوفمبر سنة ١٩٧٧م.

٦٩. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح البخاري المسمى المُسند الصحيح المُختصر بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٠. مصطفى غلوش، دور الصوفية في الحفاظ على الأمة في فترات الضعف السياسي، كلية أصول الدين، القاهرة.

معلمة المناهج الأزهرية، اعتناء وتقديم: الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، الأزهر الشريف بالتعاون مع سقيفة الصفا العلمية، ماليزيا، الطبعة الثانية، سنة ١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م.